

الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر
معالم صدام الحضارتين من خلال أبعاد ومآلات استعداد الإسلام والتخويف
منه

Signs of a clash of two civilizations as a result of hostility to Islam

عميري عبد الوهاب*

جامعة محمد بوقرة، بومرداس، الجزائر a.omiri@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال: 2022/04/12 تاريخ القبول: 2022/09/06 تاريخ النشر: 2022/10/01

الملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية موضوع انعكاسات تشويه الإسلام وسببه وتأجيح التخوف منه والعداء له على الأمن والسلم الدوليين، واحتمال حدوث صدام بين الحضارتين الغربية والإسلامية. وتنطلق الورقة البحثية من خلفية العداء الغربي المسيحي للإسلام والمغالطات التي روح لها المخيال الغربي. كما تعتمد الورقة على تداعيات المنظور الغربي المتوارث للإسلام والمسلمين، والمشهر به إعلاميا وأكاديميا، وهو منظور أخذ منحى التشهير للغرب بأنه يجوز كل الحاسن، وتحميل الإسلام والمسلمين كل المساوئ، الأمر الذي شجع على انتشار ظاهرة سب كل ما يتعلق بالمعتقدات والممارسات الإسلامية في الغرب باسم حرية التعبير، على نحو يزيد من تجييش و تأجيح مشاعر العداء الغربي للإسلام والمسلمين في سياق التحذير من الخطر الذي يشكلونه، على اعتبار أنهم يمثلون آخر الممانعين للمنظور الغربي في كليته ويتحفظون على القيم الغربية التي تتعارض مع القيم الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: المنظور الغربي للإسلام؛ تنظير العداة للمسلمين؛ صدام الحضارتين.

Abstract:

This article examines the implications of the Western distortion of Islam on international peace and security, and the possibility of provoking a clash between Western and Islamic civilizations. The article starts from the context of Western hostility to Islam and their inherited perspective on Islam and Muslims, which has been amplified by media and academic writing, which praises the West and its culture, and distorts Islam and Muslims. The research paper shows how these practices fueled Western hostility to Islam, in the context of warning about the danger of Muslims, who represent the last opponents of Western values because of their incompatibility with Islamic values.

Keywords: Western Perspective of Islam, Anti-Muslim Theory, Clash of Two Civilizations.

مقدمة:

شهد العالم انتشارا واسعا للقيم الغربية ، إلى درجة أن رقعة الغرب توسعت لتشمل دولا وشعبا لا تنتمي للغرب جغرافيا، خاصة و أن المفهوم الشامل للغرب جعل المقبلين على قيم الغرب محسوبين على الغرب، كما هو الشأن مع الصين، التي اندجت في النموذج الليبرالي بمحدداته المعروفة مثل الحرية المطلقة، والفردانية.

وعلى النقيض من الصينيين الذين كانت حضارتهم في نظر هنتغتون إحدى أهم الحضارات المعادية للغرب والمتحدية، والتي يبدو أن توجهاتها قد لانت للغرب فإن المسلمين أضحووا يشكلون آخر الممانعين للمنظور الغربي والميئوس من ذوبانهم في القيم الغربية المتحررة من ضوابط الدين، وهو ما جعل الغرب يضعهم في موقع العدو الأول.

إن الإطلاع على تاريخ العلاقات بين العالم المسيحي والعالم الإسلامي، يجعل من مضامين أطروحة "صدام الحضارات" تندرج ضمن الاستمرارية التاريخية للمنظور المسيحي الغربي المعادي للإسلام المتخوف من انتشاره، وذلك راجع لكون الإسلام لا يرتبط بنطاق جغرافي ولا بعرق بشري وله مقومات الانتشار.

وقد جعلت الممانعة الإسلامية للانخراط الغير مشروط في القيم الغربية، جعلت الغرب يستشعر خطورة الإسلام عليه وعلى مصالحه، كونه المنافس الأول في انتشار قيمه أمام القيم الغربية.

وهكذا، سرعان ما ظهرت موجة من الكتابات الإعلامية والدراسات الأكاديمية لتبعث من جديد الموروث العدائي للإسلام وتحيي الصور المشوهة له في المخيال الغربي.

وفي هذا السياق، تصاعدت حملات تشهير للغرب بأنه يحوز كل المحاسن وتحمل الإسلام كل الشرور والمساوى بالاستنادا للمنظور المسيحي المتوارث عن الإسلام، مما شجع على انتشار ظاهرة خطاب الكراهية وسب كل ما يتعلق بالمعتقدات والممارسات الإسلامية باسم حرية التعبير، على نحو يتحرى الإمعان في تجييش مشاعر العداة الغربي ضد المسلمين.

وقد بدأت الظاهرة العدائية للغرب نحو الإسلام تأخذ وتيرة متسارعة ومتصاعدة وتشمل مستويات متنوعة، مما دفع المتخصصين في حقل العلاقات الدولية و الدراسات الاستشرافية إلى توقع حدوث صدام للحضارات.

لكن، وبناء على انخراط الجميع في القيم الغربية باستثناء المسلمين الذين مازالوا يتحفظون على عديد القيم الغربية التي تتعارض مع الدين الإسلامي، وبناء على الحملة الغربية لتشويه الإسلام، فإننا نرى أن دائرة صدام الحضارات قد تضيق لتشمل حضارتين فقط هما الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، لأن التنافس على الانتشار مستقبلا سيقصر عليهما بالدرجة الأولى.

وبناء عليه، فإنه في ضوء طرف غربي مهيمن يسعى للانتشار أكثر وتوسيع هيمنته من جهة، وطرف إسلامي ممانع ومتحدي للمنظور الغربي من جهة ثانية، ومن خلال أبعاد ومآلات استعداد

الإسلام والتخويف منه تتشكل معالم الصدام بينهما تحت عنوان "صدام الحضارتين". وهو ما تبخته الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن أن يؤدي خطاب الكراهية و استعداد الإسلام والتخويف منه من طرف الغرب باسم حرية التعبير إلى صدام الحضارتين؟

فرضية الدراسة:

كلما زاد الغرب في ممارسة خطاب الكراهية ضد المسلمين وجسده في سياساته التدخلية، كلما ساهم ذلك في تعزيز احتمالات التصادم بينهما.

أهداف الدراسة:

تستهدف الدراسة التنبيه للتهديدات التي تترصد بالأمن والسلم الدوليين من خلال مدخل خطاب الكراهية الذي يمارسه الغرب ضد المسلمين، والذي ترجم ميدانيا في شكل سياسات تدخلية عسكرية و غير عسكرية ضد البلاد الإسلامية، و هو ما يزيد من احتمالات التصادم بين الحضارتين الغربية والإسلامية.

منهج الدراسة:

تم اعتماد منهج تحليل المضمون لفهم أبعاد خطاب الكراهية الغربي اتجاه الإسلام. كما اعتمد المنهج التفكيكي-التركيبى، حيث تم تفكيكه الموضوع بداية إلى عناصره الأولية ثم القيام بعملية التركيب في مرحلة ثانية، للوصول إلى نتائج معقولة تتعلق بإثبات حقيقة التهديدات المترتبة على خطاب الكراهية وممارسات العداة للإسلام على الأمن والسلم الدوليين.

1. منطلقات الموقف العدائي الغربي من الإسلام

1.1 الخلفية العقائدية والديموغرافية

يرجع الموقف الغربي المسيحي من الإسلام والمسلمين إلى معطيات عقدية تتأسس على عدم الإلتباع، فطالما ليس هناك توافق في العقيدة فإن الرفض يبقى قائما. وقد جاء في القرآن الكريم ،

الآية 120 من سورة البقرة ما يؤكد ذلك " وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبْغَ مِلَّتَهُمْ "

ولطالما استمرت هذه القاعدة تحكم العلاقات المسيحية الإسلامية، وتزداد حدة كلما استشعر الخطر أكثر فأكثر. وانطلاقاً من نفس القاعدة، نشهد في السنوات الأخيرة زيادة وتفاقم الاعتقاد الغربي رسوخاً بصعود الأحزاب اليمينية المتطرفة للحكم، وهي أحزاب تعتمد في كسب الشعبية والوعاء الانتخابي على إذكاء النزعة الدينية المتعصبة في نفوس المواطنين، كرد فعل على تزايد أعداد المسلمين في بلاد الغرب وتمسكهم بالإسلام ؛ وهذا الأمر يُراقبه السياسيون ورجال الدين المسيحي، فيرون بالحسابات والإحصائيات أن أوروبا قد تتحول تلقائياً وبدون حرب إلى قارة مسلمة، خاصة وأن الإحصائيات الغربية الرسمية تشير إلى أن هناك أعداداً ضخمة من الغربيين تدخل الإسلام كل عام، ناهيك عن تزايد نسبة الولادات لدى المواطنين من أصول مسلمة.

2.1. الاعتبارات الجيوسياسية وضرورة العدو البديل للشيوعية

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وزوال الشيوعية بحث ساسة الغرب وعلى رأسهم صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية، عن عدو جديد لتبرير سلوكياتهم الخارجية وتحقيق مصالحهم والحفاظ على مناطق النفوذ، وتبرير استمرار حلف الناتو، فكان الإسلام البديل الأمثل لهم، على اعتبار التاريخ العدائي الكبير بين الغرب المسيحي والعالم الإسلامي.

ونشير في هذا الصدد إلى حدوث تحالف بين السياسيين والعسكريين لتشويه صورة المسلمين، وتضخيم التخويف من خطرهم، وتقديمهم كأخطر عدوٍّ في أعين الشعوب الغربية المسيحية؛ فمن جهة يستمر الساسة في سياسات الانتشار والهيمنة، ومن جهة ثاني يواصل المركب الصناعي في تموين تلك التوجهات الخارجية، وبذلك تتحقق مصالح الطرفين ، من خلال افتعال عدو من وحي التاريخ العدائي بين المسيحيين والمسلمين.

وبدأت أعمال البثّ والدعاية المعادية للإسلام التي وصلت إلى ذروتها بعد 11 سبتمبر - ترى في المسلمين خطراً يهدد الغرب، وأخذت تمارس التمييز بحقهم في هذا المسار. هذا الوضع الذي

سمّاه هانس كوتششر "معضلة التعددية الثقافية"، حيث يرى أن الإسلام بسبب عدم انسجامه مع نظام القيم الغربية والنظام العالمي يُقيّم في عداد الخصوم، وهذا الشعور حسبه بات ينمو ضد الحضارة الإسلامية على أنه "معاداة الإسلام" أو "أنتي إسلاميزم"¹

3.1. النظرة المتوارثة والمترسبة في المتخيل الغربي حول الإسلام

نسج الغرب المسيحي قديما خطابا حول الإسلام تداخلت فيه المعلومة المنتزعة من سياقها وواقعها، مع الخيال المتدفق، بقصد تشويبه وتقديمه بأشكال متناقضة مع ماهيته وأصوله. وقد ترسخت تلك الأكاذيب ضمن ما عرف في الغرب بـ "أناشيد البطولة"، التي تقدم الآخر الذي هو المسلم، باعتباره تجسيدا لما هو أجنبي، غريب، سلمي ويستحق الإدانة.

لقد عمل رجال الكنيسة على إنتاج صور خيالية وأكاذيب هدفها التنفير من الإسلام، وذلك بإظهار ما أطلقوه قدحا وكذبا عن مساوئ الإسلام قياسا إلى الأخلاقيات الكنسية المسيحية . وذلك بهدف تشكيل "رأي عام" مسيحي ينفر من الإسلام و المسلم². فهذا الأخير في اعتقادهم هو sarrasin (الحنطة السوداء)، فهو ليس محاربا أجلفا، ومتوحشا فحسب، بل زنجي أسود، و شيطان مدمر.³

و انتبعت الكنيسة إلى ضرورة تشويه صورة الإسلام والمسلم لتعزيز الوعي المسيحي بالذات وتأكيد خصوصية الهوية المسيحية الأوروبية،⁴ فالتجأت إلى كل ما ينتج ردود أفعال رافضة للإسلام ، ويعبئ المعنويات لمحاربتة، وهو ما جسده الظاهرة الصليبية .

وقد كشف تقرير رينيمد تراست The Runnymede Trust الصور التي تبلورت في أذهان الغرب حين يُذكر الإسلام والمسلمون، وهي كالاتي:

- ينظر إلى الإسلام على أنه كتلة واحدة متجانسة ، ثابتة ولا تستجيب للحقائق الجديدة
- ينظر إلى الإسلام على أنه منفصل ليس له أي أهداف أو قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى ، فهو دين متفرد، لا يؤثر في الثقافات الأخرى ولا يتأثر بها.

- الإسلام أدنى من الغرب - بربري ، غير عقلائي ، بدائي ، متحيز جنسياً
- الإسلام خصم عدواني و عنيف- مهدد- داعم للإرهاب- مشارك في "صدام الحضارات".
- الإسلام أيديولوجية سياسية يستخدم لتحقيق مكاسب سياسية أو عسكرية .
- رفض انتقادات الإسلام "للغرب" و اعتبار عداة المسلمين طبيعياً و "عادياً".
- تبرير العداة للإسلام وممارسات التمييز تجاه المسلمين وإقصائهم من التيار الرئيسي للمجتمع⁵.

4.1. تواطؤ الصحف والمجلات الأكاديمية والكنيسة في تشويه الإسلام

خرجت الممارسات العدوانية بحق المسلمين من كونها طارئة وأصبحت أمراً واقعاً لاسيما بعد هجمات 11 سبتمبر. فبعد هذه الهجمات نشرت العديد من الصحف والمجلات الأكاديمية منشورات معادية للمسلمين، وتحوّلت إلى لسان حال المواقف الغربية التمييزية تجاه المسلمين. وقد شكل الإعلام أهم الوسائل المؤثرة في الترويج لهذه المواقف التمييزية وتحويلها إلى أمر اعتيادي من خلال إنتاج انطباع عن المسلمين وذكرهم ب"الآخرين" الذين يعيشون في دوامة من العنف نابغة من الدين الذي يعتقدون به. حتى صار الحديث عن الإسلام والمسلمين يحمل مرادفات الإرهابيون، المسلحون، المتعصبون، أصحاب اللحي الذين يسعون لإلحاق الضرر بعدوهم الرئيس الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا، كان للآلة الاعلامية الغربية قدرة على تصنيع حقيقة بخلاف الحقيقة الموجودة على أرض الواقع، والمقارنة بين الخطاب الصحفي قبل 11 سبتمبر وبعده يكشف أن العبارات التي تؤكّد مزاعم تجريم المسلمين - مثل عبارات الأصولية الإسلامية والتطرف الإسلامي والتشدد الإسلامي - قد ازداد استخدامها، ليصبح معه توجيه الاتهام مباشرة ضد المسلمين في الهجمات التي تقع في أي مكان من العالم يعزز الانطباع بأن المسلمين إرهابيون محتملون. كما تحول الخطاب في الأوساط الأكاديمية يأخذ منحى استخدام مفاهيم مثل الأصولية الإسلامية

ويربط كل هجمة تحدث بالإسلام والمسلمين، مما زاد من وتيرة تجريم الإسلام وتعميق العداء للمسلمين بين الجماهير. وما شجع هذا الخطاب العدائي في الأوساط الأكاديمية هو الدعم المالي من منظمات مانحة من أمثال مركز ديفيد هورowitz للحرية David Horowitz Freedom Center، ومعهد الأبحاث الإعلامية للشرق الأوسط Middle East Media Research Institute، ومنتدى الشرق الأوسط Middle East Forum؛ فهذه المؤسسات إضافة إلى كونها تمارس العداء للمسلمين فإنها تؤدّي دور الجهات المانحة لدعم استمرار هذا العداء، وتكشف التبرعات التي تقوم بها هذه المنظمات عن أن توجهاتها السياسية تتلقّى دعماً اجتماعياً خطيراً⁶.

وقد لعبت الكنيسة دوراً كبيراً في تهيئة هذه البيئة العدائية للإسلام ورموزه و ترسيخ صورة مشوهة في متخيل الغرب، وذلك راجع إلى كون الانتشار الإسلامي لطالما جعل المؤسسة المسيحية تشعر بحسرة كبيرة مما دفعها إلى تعمد الانتقاص من كل مظاهر الإسلام لإعادة بناء الوعي المسيحي بالذات في سياق خلق صور قذحية للآخر المسلم.

وفي هذا السياق، عمد الغرب المسيحي إلى الجمع بين الإسلام والوثنية لتحريك الخوف في اللاوعي المسيحي الجمعي من انتعاش جديد للوثنية التي هددت المسيحية أكثر من مرة وتنشيط صور الذين سقطوا ضحية الفتح الإسلامي للمناطق المسيحية، وتعميق الشعور بضرورة إنقاذ المسيحية من خطر الإسلام وتحرير الأماكن المقدسة من قبضته. انطلاقاً من ذلك، كرسّت الكنيسة صورة نمطية عن الإسلام كدين عنيف شعاره السيف والحرب والقتال، وجعلت من المسلم في الإدراك المسيحي الغربي ذلك المحارب المتوحش العدواني الذي ينزع للنهب والتنكيل.⁷

وتمكّنت الكنيسة بنهجها هذا من إنتاج متخيل جمعي حاقد على الإسلام، وتنشيط الشعور بضرورة الاستجابة لمحاصرته والحد من انتشاره وإعادة الاعتبار للمسيحية.⁸

وكما تزامن توصيف الكنيسة للإسلام بالدين العنيف مع ظهور وجه جديد للعدوان والغزو عبر الحروب الصليبية التي تبنتها الكنيسة تحت مسمى "الحروب العادلة" و"الحروب المقدسة"، تكرر

الأمر في سياقات ما بعد الحرب الباردة باستظهار الإسلام كعدو جديد بدل الشيوعية من أجل إطلاق حرب "عادلة" في نظره متمثلة في الحرب العالمية على الإرهاب .

5.1. التنظير لتأجيل العداء للإسلام بعد الحرب الباردة

أفاق الغرب بعد انهيار الاتحاد السوفياتي على واقع فراغ إستراتيجي كبير، ولم يتأخر لغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من تقديم الإسلام كبديل لشغل ذلك الفراغ. وهكذا، أصبح الإسلام الخصم العالمي الجديد للغرب، خصوصا بعد إطلاق "صامويل هنتغتون" لأطروحته الموسومة "صدام الحضارات" التي كسبت موقعا هاما لها داخل بعض أجنحة الحكم في الولايات المتحدة وأوروبا. فقد حسم "هنتغتون" في أطروحته بأن الاختلافات الثقافية والحضارية ستكون مصدر الصراع الدولي في فترة ما بعد القطبية الثنائية. وفعلا، جاءت أحداث سبتمبر 2001 لتفجر هذه الخلفيات الحضارية في علاقات الغرب بالإسلام والمسلمين، وتتخذ كمدخل لإعادة صياغة السياسات الدبلوماسية والأمنية والعسكرية وحتى الثقافية تجاه العالم الإسلامي، وبناء عليه تنامت الضغوط من أجل تجفيف ما يسمى بمنابع الإرهاب والقضاء على أسباب التطرف الديني وإصلاح البرامج التعليمية وغيرها⁹.

وتأتي أطروحة هيننتغتون في سياق مسارات التنظير العدائي للإسلام لتبرير استهدافه واستهداف الدول الإسلامية ؛ فقبل "هنتغتون" نشر "فرانسيس فوكوياما" كتابه (نهاية التاريخ)، وجاء فيه أن الرأسمالية الحالية المسيطرة على العالم هي أفضل وأكمل نموذج لحياة البشر وهي المحطة النهائية في مسيرة التاريخ مما يستوجب التخلُّص من أصحاب الأفكار والنظريات الأخرى كالإسلام. وذهب فوكوياما إلى حد مطالبة الرئيس الأميركي آنذاك "بيل كلينتون" بالقضاء على المسلمين، ثم كرر نفس الطلب لخليفته "بوش" الابن لتبدأ معها الحروب الأميركية ضد المسلمين¹⁰.

كما ساهم الفرنسي "جون كريستوف روفان" عبر كتابه الذي صدر في 1991 (الإمبراطورية والبرابرة الجدد)، Jean-Christophe Rufin. L'Empire et les nouveaux barbares، ساهم في حملة التخويف من أعداء الغرب الذين أسماهم البرابرة الجدد. وقد عبر

"روفان" عن معارضته لخطر حدوث انقسام كوكبي جديد على اعتبار أن وجود الشرق والغرب وجهاً لوجه يهدد بأن يخلف نظام عالمي مشابه للنظام الذي ساد في العصور القديمة لا سيما خلال الإمبراطورية الرومانية، انطلاقاً من وجود من أسماهم "نحن" الشمال الذي يمثل الإمبراطورية و يركز الثروة والسلطة ويضع المعيار ويقول القانون ، مقابل "الآخر" الجنوب غير المتجانس الذي يمثل دور "البرابرة" وهي قوى مهمشة ومعادية¹¹.

إن هذه العينة من الكتابات ذات تأثير كبير ، فهي تنشر في كبريات المجلات العالمية وتدور حولها حلقات تحليل وندوات تفصيل، وتصل تقاريرها التهويلية لصناع القرار فتؤثر على إدراكاتهم ويتخذون منها مطية للتعبير عن خطر العدو الجديد كما صوره أوائك المنظرين والكتاب، وهو ما ينعكس على الوعي الغربي الجمعي ويؤجج العداء للإسلام ويفتح المجال لمظاهر الشتم والقذح لكل ما يتعلق بالإسلام دون ضوابط و لا ردع قانوني باسم حرية التعبير.

2. صدام الحضارتين في ضوء الممانعة الإسلامية و العداء الغربي للإسلام

1.2 التأسيس لصراع الحضارتين من خلال تنميط العدو الجديد للغرب

عرف النظام الدولي على مر التاريخ سيطرة الوحدات القوية على المستوى الدولي على باقي الوحدات. و يميز "مارتن وايت" بين نظام الدول الدولي ونظام الدولة المتنفذة: فالأول يتألف من دول ذات سيادة تتفاعل فيما بينها في إطار نسق دولي معين، أما الثاني فهو نظام تمارس فيه دولة واحدة على باقي الدول شبه سلطة عليها¹².

وفي هذا الصدد يرى الدكتور "شفيق العمري" أن النظام العالمي الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، محكوم بوسائل وآليات وأطر مركزية تجعل جميع الأطراف الأخرى بما فيها الأوروبية خاضعة له بطريقة تسلسلية، تحتكم لتوجهاته وتستجيب لقراراته، وتبقى في كل الحالات أسيرة رفضه أو قبوله. وعلى هذا الأساس تحرص الولايات المتحدة الأمريكية على توفير هذه المركزية للنظام العالمي الجديد من خلال أشكال وصيغ مختلفة من الشراكة مع الآخرين، مما يعني

أما تسعى للحفاظ على وضع قائم يسمح لها بالسيطرة والنفوذ بربط شبكة من العلاقات مع مختلف الوحدات الفاعلة في النظام الدولي، والتعامل مع كل طرف حسب الحالة والهدف.¹³

وقد صرح الجنرال الأمريكي " كولن باول " بأن الولايات المتحدة الأمريكية باتت تمثل القوة الأعظم و اللاعب الرئيسي على المسرح الدولي، وكل ما يجب عليها أن تفكر فيه هو مسؤوليتها عن العالم وعن مصالحتها التي تشمل هذا العالم كله.¹⁴

أما عن طبيعة النظام الذي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى توسيعه والبناء عليه لحكم عالمي فهو ما أسميه في هذه الورقة البحثية بمسمى "الغرب"، تأثرا بالمفهوم الذي قدمه أستاذ السلم والأمن الدولي بكلية "كينغز" في جامعة لندن "جيمس غاو" (2005) في كتابه "الدفاع عن الغرب" معتبرا أن الغرب يجب أن ينظر له من منظار القيم المستندة إلى الانفتاح والشفافية، وليس من منطلق جغرافي.¹⁵

لقد كانت الشيوعية هي الخطر الذي يتهدد الغرب، لهذا عملت الولايات المتحدة حتى نجحت في احتواء هذا الخطر وتوسيع رقعة النموذج الليبرالي ومنه أصبح مصطلح الغرب يشمل كل من شمله النموذج الليبرالي الأمريكي. لكن في سياق هذا التمدد والانتشار، انتفى الخطر الشيوعي وباتت الحركية في المجال الدولي تتطلب الإسراع في إيجاد عدو وخطر جديد.

وقد جاءت هجمات سبتمبر 2001 أو ربما جيء بها لتؤسس لحركية جديدة قوامها الخير والشر؛ خير محله ومصدره الغرب، وشر محله و مصدره الدول الممانعة لتوجهات الغرب، وهي بنظره دول إرهابية و/أو دول داعمة للإرهاب، مع التذكير بأن الأمر يتعلق في كل تلك الحالات بدول إسلامية وليس بغيرها من الدول.

قد يقول قائل إن هذه القراءة هي مجرد تخمين ذاتي لا أساس له من الدلائل، وربما الأمر لا يعدو مجرد إفراط في الحساسية اتجاه الغرب ومخططاته التوسعية، لكن بالعودة إلى تقارير دوائر التفكير الأمريكية وتصريحات صناعات القرار في الإدارة الأمريكية، و بالاطلاع على مضامين

استراتيجيات التغيير الجيوستراتيجي على غرار الشرق الأوسط الكبير، نتأكد أن ذلك التخمين مؤسس تنتفي معه فرضية مجرد الإفراط في الحساسية اتجاه الغرب ومخططاته التوسعية.

وفي هذا الصدد، نذكر بعض الدلائل المستوحاة من التصريحات والاستراتيجيات الأمريكية:

- وصف الرئيس "بوش" الابن الحرب العالمية على الارهاب بأنها حرب صليبية جديدة.¹⁶

- تركيز المفكر "هينتغتون" في نظرية "صراع الحضارات" على الصراع بين الشرق والغرب، وتحديدًا بين الغرب والإسلام كأكبر مصدر تهديد. فحسبه المسلمون مهما تعددت أعراقهم وألسنتهم يجمعهم دين واحد ويشكلون حضارة واحدة، وهي مصدر الخطر الوحيد للغرب والمسيحية.¹⁷ كما وصف "هينتغتون" الأمة الأمريكية أنها تحيا بروح الكنيسة، ومن ثم فإن الولايات المتحدة الأمريكية أمة مختارة يحميها الله ويباركها و كلفها الله برسالة سامية في هذا العالم.¹⁸

- اعتقاد المفكر "فوكوياما" أن التطرف الإسلامي هو رد فعل للعولمة والحداثة في القرن الحادي والعشرين ولهذا يعترض المسلمون على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، وبناء عليه فإن مصدر التهديد الحقيقي للولايات المتحدة الأمريكية يكمن في المجتمعات الإسلامية.¹⁹

- مبادرة "الشرق الأوسط الكبير" التي تحاول من خلالها الولايات المتحدة الأمريكية التدخل في الشؤون الداخلية للدول الإسلامية لتغيير منظومة قيمها عبر برامج الإصلاح السياسي ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية المرأة،²⁰ وغيرها من مشتقات البرامج الإصلاحية الغربية.

ويعتقد الباحث أن مبادرة الشرق الأوسط الكبير ربما تأتي في سياق الاستجابة لتخمينات "هينتغتون" الذي كان قد أوضح بأن السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين من المرجح أن تشهد صحوة في الثقافات غير الغربية، وأن الغرب حتى يحافظ على هيمنته يجب أن يراعي متطلبات ذلك من خلال الحفاظ على التفوق العسكري واحتكار الأسلحة النووية والعمل على انتشار القيم والمؤسسات السياسية الغربية، وحماية التماسك الثقافي في المجتمعات الغربية بفرض قيود على الهجرة واللجوء السياسي على غير الغربيين.²¹

ويعبر "هنتغتون" عن موقفه اتجاه الإسلام والحضارة الإسلامية بشكل تتقاسمه معه العديد من دوائر التفكير الغربية ووسائل إعلامها والرأي العام الغربي، ومفاده أن الإسلام هو الوجه المعاكس للحضارة كونه يمثل حسبه العنف والغدر. ويذهب "هنتغتون" إلى تصعيد التخوف من الإسلام وتشديد التحذير منه، وهو ما يعتبر بمثابة دعوة ضمنية مبطنة من أجل التجييش ضده بوصفه الخطر القادم المهدد لأمريكا والعالم ككل، خاصة في ضوء النتائج التي توصل إليها على غرار أن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت الغرب تاريخياً موضع شك، وأن حوالي ثلثي إلى ثلاثة أرباع الصراعات بين الحضارات كانت بين مسلمين وغيرهم، و أن هناك صلة بين الإسلام وسياسة الاستعداد العسكري، فالعنف والصراع في الدين الإسلامي وتاريخه يبين أن المسلمين دعاة عنف، والدول الإسلامية لديها ميل شديد للجوء إلى العنف في الأزمات الدولية.²²

ويبدو أن توجس "هنتغتون" خوفاً من الخطر الإسلامي تصدقه ممارسات الغرب اتجاه الأقليات المسلمة المتواجدة في دول غير مسلمة عبر العالم، أو اتجاه دول إسلامية. فبالنسبة لممارسات الغرب اتجاه الأقليات المسلمة المتواجدة في دول غير مسلمة عبر العالم، نلاحظ أن التدخل الإنساني بالنسبة للانتهاكات التي تتعرض لها هذه الأقليات يتأخر إلى أجل غير مسمى، وإن حدث فلا يحدث إلا في حالات نادرة جداً على غرار التدخل في يوغسلافيا السابقة خلال تسعينيات القرن الماضي، ويحدث ذلك إما بسبب ارتباط التدخل بأمن واستقرار المنطقة الإقليمية التي تنتمي لها تلك الأقلية المسلمة وهي أوروبا، أو بسبب المصلحة بالدرجة الأولى، وبالتالي فالتدخل لا يحركه بالضرورة الاهتمام الإنساني المحض ومسؤولية الحماية المزعومة.

أما فيما يخص التدخل لأجل الأقليات المسلمة خارج هاتين الوضعتين أو الحالتين المشار إليهما (حساسية المنطقة أو المصلحة)، فإن التدخل الإنساني يصبح حينها وكأنه "آلية" منتهية الصلاحية. بل أن التناقض لا يتوقف عند هذا الحد، فإذا ما فكرت الأقليات المسلمة غير المستفيدة من آلية التدخل الإنساني في القيام برد فعل في إطار الدفاع الشرعي عن النفس أو قدر لها تجسيد ذلك فعلاً، فإنه سرعان ما تتحرك الدبلوماسية الغربية ومؤسسات الدعاية الإعلامية للدفع بالمؤسسة العسكرية للتحرك الفوري لمحاربة ومواجهة إرهاب هذه الأقليات المسلمة.

- أما بالنسبة لممارسات الغرب واستهدافه للدول الإسلامية، فيأخذ بنظرنا الحالات التالية:
- حالة خاصة بالدول الممانعة للإستراتيجية الغربية الأمريكية، حيث يتم استهداف هذه الدول في إطار الحرب على الارهاب وامتلاك أسلحة الدمار الشامل، كما حصل مع العراق.
 - حالة تتمثل في استهداف دول إسلامية في سياقات معينة، على غرار سياق ما يسمى " الربيع العربي" الذي أعتقد أنه ربما تم تحويل مساره أو استغل ليكون بمثابة آلية من آليات تنفيذ نظرية الفوضى الخلاقة، وطريقة لتنفيذ برامج الإصلاح السياسي ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية المرأة، وغير ذلك من مشتقات البرامج الإصلاحية المفروضة من الغرب التي تدخل في إطار مبادرة الشرق الأوسط الكبير. وإذا حصل و أن تعارض مسار الإصلاحات مع مبادرة الشرق الأوسط الكبير وهدد هدف الحفاظ على الوضع القائم المواقي للغرب، فسوف يتم تعطيل مسار الانتقال الديمقراطي حتى ولو كان على حساب الشرعية الديمقراطية التي يدعيها الغرب .
 - سياسات التطبيع مع الكيان الصهيوني لتحجيم الدول الممانعة، على اعتبار أن العلاقة مع الكيان الصهيوني هو ملمح من ملامح ممانعة القيم الغربية في الاعتقاد الغربي.
- وإمعانا في هذه السياسة التدخلية، يكون الغرب قد أسهم في تهيئة البيئة الموازية والمشجعة لظهور تيارات وجماعات إسلامية لا تؤمن بنهج التغيير السلمي لأنه نجح لن يأتي بالنتائج المأمولة، وبذلك تسهم السياسة التدخلية للغرب في دفع هذه التيارات والجماعات إلى العمل المسلح بطريقة أكثر تشددا، وهو ما يمنح بعدها الحجة والمبرر للغرب استخدام القوة العسكرية إزاء تلك الجماعات وبالتالي إزاء الدول التي تتواجد بها.

2.2 إصباغ اللون الديني على عدو الغرب الأول لتفعيل الحرب العادلة

1.2.2. إصباغ اللون الديني على عدو الغرب الجديد ضمن إستراتيجية الأمن القومي

لا يمكن تصنيف النزاعات في العالم باعتبارها دينية في أساسها نظرا لكون معظمها له جذورا سياسية واقتصادية، لكن تطورات ما بعد الحرب الباردة جعلت التعبير عن تلك النزاعات يتم على

نحو متزايد بصورة دينية بعدما تراجعت الأيديولوجيات العلمانية على غرار الاشتراكية، وهكذا بدأ العامل الديني في البروز كمحرك للعلاقات الدولية عموماً والظاهرة النزاعية تحديداً.

وأعتقد أن اعتماد الدين كمحرك سياسي في العلاقات الدولية قد تم تبنيه من طرف الدولة المهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية، فبزوال العدو الشيوعي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي انتفى محركها في المجال الدولي وما كان منها إلا استحداث عدو جديد وإصباح اللون الديني الإسلامي عليه وإقران الإرهاب به لتبرير معاداته على النطاق الغربي ككل.

وعلى إثر تحديد العدو الأول الجديد للغرب، ما فتى التحرك الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية يزداد باتجاه الدول المسلمة مما ترتب عنه بروز الإسلام السياسي وتنامي ظهور الحركات والجماعات المسلحة "الإسلامية"، وهو ما استغله الإدارة الأمريكية لإضفاء المصدقية على مخاوف الغرب من المد الإسلامي، على اعتبار أن جوهر نظرة الغرب إلى الإسلام السياسي كظاهرة يتمثل في اعتباره منهجاً بديلاً في الفكر والممارسة للمنهج الليبرالي الغربي.

وإذا كانت ظاهرة الإسلام السياسي بحكم هذه الصفة تنطوي على رفض النموذج الحضاري الغربي وتدعو بدلاً من ذلك إلى إقامة المجتمع الإسلامي، فإن قطاعات بالغة الأهمية داخل المنظومة الرأسمالية العالمية تنظر إلى ظاهرة الإسلام السياسي باعتبارها مصدراً رئيسياً من مصادر التهديد في النظام الدولي، وهو ما أكدت عليه العديد من الكتابات المنشورة والتصريحات المعلنة على غرار ما جاء في كتاب الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" الموسوم "انتهزوا الفرصة" الذي خصص فيه فصلاً كاملاً عن العالم الإسلامي ودعا فيه إلى تحجيم "الأصوليين" و"الرجعيين" من النظم الحاكمة في العالم الإسلامي والاقتصر على التعاون مع النظم التقدمية الإسلامية الساعية إلى الارتباط مع العالم المتحضر من الناحية السياسية والاقتصادية.²³

لقد تصاعدت الممارسات الغربية اتجاه الدول الإسلامية و تبلورت بعد الحرب الباردة في شكل خطابات وتقارير رسمية ودراسات أكاديمية، و سياسات تدخلية فعلية اقتصادية وعسكرية. ومع

تعظم هذه الممارسات وغياب أو تغييب دور هيئة الأمم المتحدة، تبلور رد الفعل في البلدان الإسلامية المستهدفة في شكل حركات وجماعات بعضها سلمي وبعضها مسلح .

وفي هذا الخصوص، نلاحظ أن المتابعة الإعلامية والدبلوماسية الغربية لحركات المواجهة أو التغيير لم تركز على الحركات السلمية التي تملك القدرات على تحسين الوضع الداخلي لدولها ومن ثم استقرار المنطقة، وإنما كانت دوما تسلط الضوء على الحركات المسلحة وتتابع نشاطاتها وتصدر تقارير بخصوصها على نحو يضحّم خطرها يوما بعد يوم وذلك من أجل هدف استراتيجي مزدوج يتمثل في تبرير الاستمرار في ردعها مما يدفع تلك الجماعات المسلحة إلى مزيد من التشدد وارتكاب أفعال تكون حجة عليها وتمنح فرصا أوفر لإشهاد الرأي العام والمجتمع الدولي بأن الوقت قد حان لتشكيل حلف "للخير" لمحاربة شر الارهاب، و القضاء على جماعته والدول التي تتمله.

كان هدف الولايات المتحدة الأمريكية من انتهاج هذا النهج هو رسم ملامح العدو الجديد، وتنصب نفسها على رأس جيش للدفاع لمحاربه. وإقناع الرأي العام الأمريكي بخطورة هذا العدو، يمكن لصناع القرار الأمريكيين زيادة الإنفاق العسكري وإيجاد مبرر للنزعة التدخلية العسكرية،²⁴ في حين أن إقناع الرأي العام العالمي بخطورة هذا العدو فيسمح لها بتحصيل موافقة ضمنية على دور القيادة العالمية وحامي القيم الغربية.

إن إستراتيجية دفع الجماعات الإسلامية المسلحة إلى التشدد لتبرير مسوغ محاربة الارهاب ليست من باب الصدفة، كما أن التركيز على منطقة الشرق الأوسط لم يكن عفويا أو اعتباطيا. فقد تضمنت وثيقة "إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي 2002" محاربة الارهاب كهدف استراتيجي وخصت بالذكر العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط تحديدا، وبذلك تكون الوثيقة قد ربطت بين الارهاب ومنطقة إسلامية لتستهدفها في إطار الحرب على الارهاب الدولي.²⁵

وحتى تنجح الولايات المتحدة الأمريكية في إنشاء تحالفات لمحاربة الارهاب وفق ما تهدف إليه إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي، كان عليها الترويج لعدو اسمه القاعدة ومطاردته في الدول الإسلامية، وعندما ظهرت على القاعدة علامات الأفول وفقدان المصداقية الإعلامية، وجهت الآلة الإعلامية المكبرة لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" وراحت تظهره في أعلى

درجات الخطر والتهديد على جميع الدول والممل والأعراق والديانات، جاعلة من خطورته تفوق خطورة القاعدة، وهو ما يستدعي تحالفا أوسع من التحالف الذي حارب القاعدة ويشترط خضوعا تاما وغير مشروط للقيادة الأمريكية على اعتبار أنها الأجدر بقيادة تلك الحرب.

و يكمن الدليل على الهدف الأمريكي السالف الذكر في إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي نفسها، فقد حددت هذه الأخيرة من ضمن أولويات السياسة الخارجية الأمريكية، ما يلي:

أ. قيادة تحالف دولي لهزيمة الارهاب الدولي،

ب. تشجيع الديمقراطية والعمل على نشرها بالقوة،

ت. القضاء على الإسلام المتطرف.²⁶

وعليه، فإن الغرب عندما يؤمن بالرؤية الأمريكية وبأن الارهاب قرين الإسلام وأن الإسلام عدو للديمقراطية، فإنه يقتنع بأن القضاء عليه باستخدام القوة هو السبيل لنشر الديمقراطية.

إن حيشيات الإستراتيجية الأمريكية وتطبيقاتها تزيد من ظهور الجماعات المسلحة وتدفعها إلى مزيد من التطرف والتشدد و استفحال الإرهاب بدل هزيمته كما هو مأمول أمريكا وغربا. فقد صرح الرئيس بوش الابن في غمرة التعبير عن ضرورة تعزيز التحالف الدولي لهزيمة الارهاب ومنع الاعتداءات على أمريكا وأصدقائها بأن أمريكا أمة مسالمة ولكنها عنيفة عندما يثار غضبها،²⁷ لكن الذي غفل عنه بوش هو أن الولايات المتحدة ليست وحدها من تغدو عنيفة عندما يثار غضبها، فالأمر يسري على كل الدول والجماعات على غرار الدول والجماعات الإسلامية، بل حتى تلك الجماعات التي لم تكن تؤمن بالعمل المسلح قد تجد نفسها مدفوعة لذلك، وأما التي كانت تؤمن به ابتداء فإنها تزداد قناعة بهذا النهج وتتشدد فيه أكثر.

وعلى غرار وثيقة 2002 ، صدرت وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي 2006 لتؤكد على طبيعة التحرك الأمريكي دوليا المستند على التفوق الاستراتيجي لفرض التصور الأمريكي للعالم. وفي هذا الصدد، أوضح الرئيس جورج بوش في خطاب إعلانه عن الوثيقة، بأن بلاده

تسعى إلى تشكيل العالم والتأثير في الأحداث من أجل الأفضل بدلا من أن تكون تحت رحمتها. وقد كررت الإستراتيجية التذكير بأن "أمريكا في حالة حرب"، وهو ما يتطلب حتمية البقاء في حالة هجوم وجاهزية تامة لمن يصوب عليها، بمعنى أن مرتكز هذه الإستراتيجية هي الحرب الإستباقية والمستهدف هو الإسلام السياسي "الراديكالي" حسب التصنيف الأمريكي.

وبخصوص فكرة الاستباق، أكدت الوثيقة أنه وفقا لمبادئ الدفاع عن النفس لا يستبعد استخدام القوة قبل أن تحدث هجمات ضد أمريكا وحتى في حالة عدم اليقين بشأن توقيت ومكان هجوم العدو. وربما شملت استراتيجية الاستباق التدخل لتغيير مسارات التحول السياسي السلمي الديمقراطي داخل الدول الإسلامية لاحتواء الخطر المحتمل على المصالح الأمريكية بمنع صعود تنظيمات سياسية ترفض أو تتحفظ على القيم الغربية.

وفي هذا الصدد نشير إلى المفارقة التي تضمنتها الوثيقة آنفة الذكر، ففي الوقت الذي التزمت في أول كلمة فيها بنشر الديمقراطية تعترف من جهة ثانية بأن "الانتخابات ليست كافية في حد ذاتها"، وقد تقود إلى "نتائج غير مرغوبة"، بدليل أن هذه المبادئ قد تعرضت للاختبار عندما فازت حماس في الانتخابات التي عقدت في المناطق الفلسطينية.²⁸

لقد جعلت وثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي الإسلام السياسي "الراديكالي" حسب التصنيف الأمريكي في منتصف دائرة التصويب، و الراديكالية صفة تم اعتمادها للبناء عليها في تبرير النزعة التدخلية وإضفاء العدالة على محاربة الارهاب بهدف تثبيت القيم الغربية بتشريع قانوني ذاتي يعتمد على القوة .

2.2.2. الحرب "العدالة" على الارهاب لمغالطة الرأي العام العالمي بحقيقة العداء.

أخذت آلية استخدام القوة في العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة اتجاهها مغايرا لما كان مأمولا من طرف المجتمع الدولي، وهو التشريع القانوني الذاتي بدل التشريع الأممي. وفي هذا السياق، شهد العالم تدخلات عسكرية بداعي الحماية الإنسانية وفرض الديمقراطية واحتواء خطر وتهديدات الدول المارقة ثم أخيرا ودائما محاربة الإرهاب.

وأعتقد قد تم استجماع مبرر استخدام القوة العسكرية بعد الحرب الباردة في دافع واحد هو الحرب العالمية على الإرهاب، على اعتبار أنه أفضل وأنسب الدوافع وأشملها وأوفر حظا لإصباح العدالة على الحرب التي تشنها الولايات المتحدة وحلفائها من الغرب؛ فبالتركيز على الارهاب يمكن إيجاد فسحة للمناورة في تبرير التدخلات العسكرية، فاستخدام القوة لمحاربة الإرهاب يمكن أن يتم تبريره بكونه يدخل في إطار التدخل الإنساني ومسؤولية الحماية نظرا لأن الإرهاب يتسبب في انتهاكات إنسانية وعرقية ، أو كأن يكون المبرر مثلا في اعتباره يمنع المسار الديمقراطي لبناء دولة الحرية مما يستدعي تدخلا عسكريا لمحاربهه وفرض الديمقراطية، أو أن تتم محاربته بداعي احتمال حصول الإرهابيين على أسلحة دمار شامل واستعمالها وهو ما يهدد الأمن والسلم الدوليين.

وهكذا لا يوجد في الألفية الثالثة بالنسبة للغرب بزعامة أمريكا أفضل من الإرهاب لخوض ضد من يتهم بتبنيه حربا تكون عادلة بنظر الغرب كونها حربا ضد الشر.

وقد كان خطاب الرئيس بوش الابن إثر هجمات سبتمبر الشهيرة بمثابة إعلان صريح لطبيعة ولون الحرب في الألفية الثالثة، حيث أوضح أنها حرب ضد الإرهاب تبدأ بالقاعدة، ولا تنتهي عندها، وأن كل أمة تستمر في احتضان الإرهاب أو دعمه تعتبرها الولايات المتحدة معادية لها.²⁹

إن المعيار الجديد الذي باتت تحتكم إليه الولايات المتحدة في استخدام القوة بعد الحرب الباردة هو معيار الخطر على أمنها و على المنظومة الغربية ككل.

ومن الواضح أن الاحتكام لمعيار الخطر المحتمل الذي في الغالب يكون خطر افتراضي وغير حقيقي حتى، يعتبر بمثابة بداية عهد دولي جديد لا يخضع فيه السلوك الخارجي لمبادئ القانون والشرعية الدولية، بل يحتكم لمعيار التقديرات الذاتية على خطر ما، وهكذا تنتقل من قانونية الحرب إلى عدالتها بالمفهوم الغربي للعدالة، ومن الشرعية الدولية إلى مشروعية قيمية قوامها الخير الغربي في مواجهة الشر الإسلامي.

وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى اتجاه أمريكي في حقل الدراسات الإستراتيجية يرى في مفهوم الحرب العادلة نقطة التقاء ممكن بين مقتضيات الهيمنة الأمريكية الأحادية على العالم

والالتزامات الأخلاقية المترتبة على تلك المقتضيات، فضلا عن تلاؤمها مع التحدي الجديد الذي يواجه المصالح الأمريكية المعرف بالإرهاب والموصوف جورا بالإسلامي.

فحسب جين إيلشتاين Jean Bethke Elshtain ، فإنه لا مناص من مواجهة خطر الارهابيات وتشريعات الحرب الباردة، وأن مشروعية الحرب حسبها لا تتحدد بامتثالها الشكلي لمدونة قانونية شكلية وإنما بآثارها الأخلاقية، وأن الإستراتيجية الناجعة هي الإستراتيجية الأخلاقية التي تقوم على تسخير القوة لإصلاح العالم بالقضاء على الارهاب وفرض الديمقراطية الليبرالية في العالم حسب الصورة الغربية و رفض حق التنوع الثقافي والحضاري بصفته وهما زائفا، خاصة بالنسبة للإسلام الذي وصفه بالانغلاق والعدوانية مقابل انفتاح ورحابة المسيحية.

ومن جهته، قارن "جيمس تورنر جونسون" بين الحرب العادلة في التقليد المسيحي التي اعتبرها مفهوما أخلاقيا عاما، والجهاد الإسلامي القائم بزعمه على التمييز والإقصاء.

وبناء عليه، يرى هؤلاء و من يتفقون معهم بأن الغرض من العودة لمفهوم الحرب العادلة في السياق الراهن هو استرجاع المقوم الأخلاقي في إدارة الحروب.³⁰ غير أن إخضاع الفعل في المجال الدولي للأخلاق بالمنظور الغربي يتناقض مع تحري الشرعية لأن المشاعر الأخلاقية قد تؤدي إلى الخطأ كونها تستجيب لمشاهد وصور خاصة تعظم القيم الغربية وتستصغر وتستعدي الإسلام والمسلمين، و هو ما يأخذ به "يورغن هايرماس" الذي يرى بأنه ليست ثمة طريقة تمكن من ضبط مسألة الشرعية في كليتها.³¹

وانطلاقا مما تقدم يحاول الغرب بزعمه الولايات المتحدة الأمريكية صياغة قواعد قانونية عبر الممارسة المتكررة وليس عبر الأطر المؤسساتية العالمية والاتفاقية لجميع فواعل النظام الدولي، وبذلك فهم يسعون لامتلاك القيم الكونية للقانون الدولي و الاستحواذ عليها.

وفي سياق التحليل هذا، يبدو أن التوجه الحاصل منذ هجمات سبتمبر 2001 يميل بشدة نحو إصباغ اللون الإسلامي على الإرهاب وتعزيز سبل الانتقال من قانونية الحرب إلى عدالتها بالمفهوم الغربي للعدالة ومن الشرعية الدولية إلى مشروعية قيمية قوامها الخير الغربي في مواجهة الشر

الإسلامي حسب الطرح الغربي، وهو ما يجعلنا نتوقع أن هذا التوجه سيهدد الأمن والسلم الدوليين ويكسر الظاهرة النزاعية أكثر فأكثر، ويُضيِّق دائرة صدام الحضارات التي تحدث عنه هنتغتون إلى ما نسميه صدام الحضارتين (الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية). و إذا تنامت ملامح صدام الحضارتين فإن ذلك قد يكون مقدمة لبداية نهاية التاريخ، وهي نهاية ليست على النحو الذي طرحه "فوكوياما"، إنما قد تكون نهاية حقيقية وفعالية للتاريخ.

الخاتمة:

رغم وجود أصوات غربية منصفة تتحدث عن الإسلام والمسلمين بعدل وحق، إلا أن هذه الأصوات تبقى الاستثناء في خضم ظاهرة ما فتئت تتفاقم تتمثل في كراهية جماعية للإسلام وأهله، تؤججها وسائل إعلام مغرضة ومراكز أبحاث تنطلق من أحكام مسبقة، وترسخها تيارات سياسية ذات مصالح مرتبطة بثبوت وتنمية وإدامة العداء الجماهيري للإسلام في المجتمعات الغربية .

كما تستند المنظومة الغربية العامة لتمرير الصورة النمطية للإسلام والمسلمين على عدة محاور من بينها أطروحات بعض المفكرين المعروفين، و مناهج التعليم والكتب المدرسية، و تقارير إعلامية وصناعة سينمائية موجهة ، وحتى من خلال إطلاق تصريحات وتصرفات خاطئة لشخصيات رسمية وكلها تنهل من الموروث الكنسي والمخيال الغربي المتوارث عبر الأجيال.

وترتكز الصورة النمطية الغربية عن المسلم حاليا على الإرهاب لاشتماله على كل المساوئ التي تؤسس للعداء الغربي للإسلام ؛ فعندما يحمل الغرب المسلمين مسؤولية الظاهرة الإرهابية فإنهم يشيرون إلى التطرف و معاداة القيم الغربية وممانعة انتشارها، ومن خلالها تعميم الهيمنة الغربية.

وتزامن تصاعد موجة العداء للإسلام و ارتفاع وتيرة سب و شتم الدين الإسلامي و الانتقاص من رموزه المقدسة مع زوال المعسكر الاشتراكي والمنافسة الشيوعية، و نتيجة لذلك لم يبق من تهديد لعولمة القيم الغربية سوى المنظور الإسلامي الذي بات في نظر الغرب يشكل نموذجا للممانعة ومقاومة المد الغربي بحكم ضوابط الدين الإسلامي التي تجعل المسلمين يتحفظون في قبول

الطرح الغربي في كليته والتسليم به دون تحفضات وبشكل تام غير منقوص، وهو ما يرفضه الغرب الذي راح يؤجج مشاعر الكراهية والعداء للمسلمين و التخويف من خطرهم.

وبناء عليه، فإنه وفي ضوء طرف غربي مهيمن يسعى للانتشار أكثر وتوسيع هيمنته من جهة، وطرف إسلامي ممانع ومتحدي للمنظور الغربي من جهة ثانية، ومسؤوس من انخراطه التام في الفلك الغربي، فإن مؤشرات رجحان كفة سيناريو صدام بينهما تحت عنوان "صدام الحضارتين الغربية والإسلامية" تزداد مع الوقت.

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. هيدلي بول، المجتمع الفوضوي دراسة النظام في السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الثالثة، دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2006.
2. مسعد عبد الرحمان زيدان، الارهاب الدولي في ضوء القانون الدولي، القاهرة: دار الكتب القانونية، 2007.
3. فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الرجل الأخير، ترجمة، حسين الشيخ، بيروت: دار العلوم العربية، 1992.
4. شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 أيلول 2001، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009.
5. ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة صدقي مراد، القاهرة: دار الهلال، 1992.
6. علي صبح، الصراع الدولي في نصف قرن 1945 - 1995، بيروت: دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2006.
7. السيد ولد أباه، عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2004.
8. -Norman Daniel, Sarrasins, chevaliers et moines dans les chansons de gestes et aussi, la persistance des perceptions médiévales du Monde Arabe in, d'un Orient l'Autre, Ed. C.N.R.S. Paris, 1991

9. Norman Daniel, Islam et Occident, traduit par Alain Spiess, Ed. Du Cerf, Paris, 1993

10. -Jean Flori, Radiographie d'un stéréotype: la caricature de l'Islam dans l'Occident chrétien: sens et contresens, in Maroc-Europe, n° 3, 1992,

11. -Philippe Sénac, Musulmans et Sarrasins, dans le Sud de la Gaule du VIII au XI. Ed. Le Sycomore Paris 1980

مجالات:

1. - عصمان نعمان، أمريكا والمسلمون : مشكلة علاقة ، في: "العرب والعالم بعد 11 أيلول- سبتمبر" ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت: سلسلة كتب المستقبل العربي (العدد 23) ، الطبعة الأولى ، 2002

2. منار الشوربجي " الثابت والمتغير في سياسة الولايات المتحدة الخارجية ، " السياسة الدولية، العدد 165، جويلية 2005

3. داليا عبد القادر عبد الوهاب " فوكوياما والانقلاب على المحافظين الجدد، السياسة الدولية، العدد 166 ، أكتوبر 2006

4. -Jean Flori, Radiographie d'un stéréotype: la caricature de l'Islam dans l'Occident chrétien: sens et contresens, in Maroc-Europe, n° 3, 1992,

المواقع الالكترونية:

1. راغب السرجاني، نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين، في:

2. <http://islamstory.com/ar/>

3. الإسلاموفوبيا والإعلام: المظاهر المعاصرة لمعاداة الإسلام ، في:

4. [https://rouyaturkiyyah.com/research-articles-and-](https://rouyaturkiyyah.com/research-articles-and-commentaries/)

commentaries/

5. كريستوفر بينت، استعراض إصدارات حول حلف شمالي الأطلسي "الناتو" ، في:

<http://www.nato.int/docu/review/2007/issue1/arabic/book.html>

7. أوهام الغرب عن الإسلام، في:

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2013/5/>

19/

9. خليل حسين، الإستراتيجية الأمريكية تجاه العراق وخلفيات الاتفاقية الأمنية، في:

10. http://drkhalilhussein.blogspot.com/2009/05/blog-post_29.html

11. -L'empire et les nouveaux barbares Résumé , dans:

12. [https://livre.fnac.com/a1247086/Jean-Christophe-Rufin-L-](https://livre.fnac.com/a1247086/Jean-Christophe-Rufin-L-empire-et-les-nouveaux-barbares)

[empire-et-les-nouveaux-barbares](https://livre.fnac.com/a1247086/Jean-Christophe-Rufin-L-empire-et-les-nouveaux-barbares)

^{13.} -Islamophobia A Challenge For Us All, Report Of The Runnymede Trust Commission On British Muslims and Islamophobia, in

14. <https://www.runnymedetrust.org/uploads/publications/pdfs/islamophobia.pdf>

15. -L'empire et les nouveaux barbares Résumé , dans:

16. [https://livre.fnac.com/a1247086/Jean-Christophe-Rufin-L-](https://livre.fnac.com/a1247086/Jean-Christophe-Rufin-L-empire-et-les-nouveaux-barbares)

[empire-et-les-nouveaux-barbares](https://livre.fnac.com/a1247086/Jean-Christophe-Rufin-L-empire-et-les-nouveaux-barbares)

الهوامش:

¹ الإسلاموفوبيا والإعلام: المظاهر المعاصرة لمعاداة الإسلام في:

<https://rouyaturkiyyah.com/research-articles-and-commentaries/>

² Jean Flori, Radiographie d'un stéréotype: la caricature de l'Islam dans l'Occident chrétien: sens et contresens, in Maroc-Europe, n° 3, 1992, pp. 104-107.

³ Philippe Sénac, Musulmans et Sarrasins, dans le Sud de la Gaule du VIII au XI. Ed. Le Sycomore Paris 1980 ,p. 63.

⁴ Norman Daniel, Sarrasins, chevaliers et moines dans les chansons de gestes et aussi, la persistance des perceptions médiévales du Monde Arabe in, d'un Orient l'Autre, Ed. C.N.R.S. Paris, 1991, pp. 75-76.

5 Islamophobia A Challenge For Us All, Report Of The Runnymede Trust Commission On British Muslims and Islamophobia, in:

<https://www.runnymedetrust.org/uploads/publications/pdfs/islamophobia.pdf>

⁶ الإسلاموفوبيا والإعلام: المظاهر المعاصرة لمعاداة الإسلام، مرجع سابق

⁷ Norman Daniel, Islam et Occident, traduit par Alain Spiess, Ed. Du Cerf, Paris, 1993, p. 151

⁸ Jean Flori, Radiographie d'un stéréotype: la caricature de l'Islam dans l'Occident chrétien: sens et contresens, in Maroc-Europe, n° 3, 1992, p. 97.

⁹ أوهام الغرب عن الإسلام، في: <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2013/5/19/>

¹⁰ راغب السرجاني، نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين، في: <http://islamstory.com/ar/>

¹¹ L'empire et les nouveaux barbares. Résumé, dans:

<https://livre.fnac.com/a1247086/Jean-Christophe-Rufin-L-empire-et-les-nouveaux-barbares>

¹² . هيدلي بول، المجتمع الفوضوي دراسة النظام في السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الثالثة (دي: مركز الخليج للأبحاث، 2006)، ص. 60.

¹³ . علي صبح، الصراع الدولي في نصف قرن 1945 - 1995 (بيروت: دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 2006)، ص. 211 - 212.

¹⁴ . فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الرجل الأخير، ترجمة، حسين الشيخ (بيروت: دار العلوم العربية، 1992)، ص. 8.

¹⁵ . كريستوفر بينت، استعراض إصدارات حول حلف شمالي الأطلسي "الناتو"، في:

<http://www.nato.int/docu/review/2007/issue1/arabic/book.html>

¹⁶ . مسعد عبد الرحمان زيدان، الارهاب الدولي في ضوء القانون الدولي (القاهرة: دار الكتب القانونية، 2007)، ص. 376.

¹⁷ . عصمان نعمان، أمريكا والمسلمون: مشكلة علاقة، في: "العرب والعالم بعد 11 أيلول - سبتمبر"، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت: سلسلة كتب المستقبل العربي) العدد 23، الطبعة الأولى، 2002، ص 301

¹⁸ . منار الشوربجي "الثابت والمتغير في سياسة الولايات المتحدة الخارجية"، السياسة الدولية، العدد 165، (جويلية 2005)، ص. 206. 215.

¹⁹ . داليا عبد القادر عبد الوهاب "فوكوياما والانقلاب على المحافظين الجدد، السياسة الدولية، ع 166 (أكتوبر 2006)، ص. 13.

²⁰ . شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد 11 أيلول 2001 (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009)، ص. 249.

²¹ . شاهر إسماعيل الشاهر، ص. 249.

²² . نفس المرجع، ص. 250 - 251.

²³ . ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة صدقي مراد (القاهرة: دار الهلال، 1992)، ص. 135. 162.

- ²⁴ . السيد ولد أباه، عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2004. ص. 12.
- ²⁵ . شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سابق، ص ص. 144 – 147.
- ²⁶ . شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سابق، ص. 156.
- ²⁷ . شاهر إسماعيل الشاهر، مرجع سابق، ص. 170.
- ²⁸ . خليل حسين، الإستراتيجية الأمريكية تجاه العراق وخلفيات الاتفاقية الأمنية، (29 . 9 . 2009) ، في: http://drkhalilhussein.blogspot.com/2009/05/blog-post_29.html
- ²⁹ . ولد اباه ، ص.79.
- ³⁰ . ولد اباه ، مرجع سابق، ص. 87.
- ³¹ . ولد اباه ، مرجع سابق، ص 96